مدينة جبيل

آثارها وعلاقتها بمصر

نشرت جريدة التيمس رسالة للاستاذ مونته ذكر فيها خلاصة أعمال الآثرية في جبيل فاقتطفنا منها ما يأتي : —

نقش الفراعنة على جدران هياكلهم في الكرنك اسماء المدن السورية والفلسطينية التي افتتحوها و لم ينقشوا اسم مدينة جبيل المعروفة في العصور القديمة باسم بيلوس . لكنّ ذكرها ورد فيما كتب عن آلهة جبيل التي كان المصريون يحترمونها او

طوق من الذهب وجد في جبيل

فيما ذكر عن البضائع السورية التي كانت ترسل الى مصر ومنها خشب الصنوبر والعرعر والارز والخرنوب والقلفونه لانها تستعمل كثيراً في التحنيط والقار لانهُ يحفظ الاجسام المحنطة به من الفساد . وقد علّم سكان جبيل ابناء مصر بناء السفن فسافروا بها في البحر الاحمر لجلب البخور (اللبان) من بلاد العرب . وكان من عادة المصريين ان يتركوا اثراً لهم في كل مدينة ينزلونها فظننت ان البحث المنتظم في جبيل يجب ان يكشف لنا شيئاً من آثارهم فيها

ذهبت الى جبيل بعد وصولي الى بيروت فعثرت فيها حين وصولي اليها على صورة بارزة تمثل احد الفراعنة وهو يسجد لآله جبيل والاهتها. ثم عثرت على قطع اخرى في بقعة صغيرة من المرتفع المشرف على حصن الصليبيين فحفرت الحفر في وسط هذا المرتفع حيث عثرنا على معبدين احدهما مصري والآخر سوري. وكان امام الاول اربعة تماثيل كبيرة وعثرنا في داخله على قطع من نقوش نافرة وتماثيل للالهة يكاد يكون سليماً. اما المعبد السوري فلم نجد فيه سوى ما وصفت به ارضهُ وقاعدتي عمودين. على ان بناة هذا المعبد كانوا قد وضعوا في اساسه كثيراً من التماثيل والحلي والكؤوس والاسطوانات والمُوكَدوا اكثر الكؤوس كان مصرياً وعلى بعضها اسماء بعض ملوك مصر مثل ميقاريتوس واوناس وباي الاول وباي الثاني

ثم انهار جانب من المرتفع في فبراير سنة ١٩٢٢ بعد ان اوقفنا الحفر فيه فظهر جانب من غرفة تحت الارض وفي وسطها تابوت كبير لهُ غطاء ضخم وكان التابوت لا يزال في المكان الذي وضع فيه. فطلبنا الى مصلحة الآثار في بيروت ان تجمع محتويات الغرفة واهمها كأس من العاج مطوق بالذهب وقد نقش عليها اسم امنمحت الثالث الذي ملك في مصر من ١٨٥٠ الى ١٨٠٠ ق. م

وحفرنا خندقين متوازيين في اكتوبر سنة ١٩٢٢ يمتدان من جهة البحر الى الداخل نحو الحصن فعثرنا على حمّام روماني وجدران كثيرة وطبقة ارضية لهيكل كورنثي لكننا لم نعثر على مدفن ما. مع ذلك لم يداخلني شك في ان البقعة التي اخترناها للحفر كانت مدفناً قديماً لملوك جبيل. ثم عدنا الى العمل في سبتمبر ١٩٢٣ عازمين الاّ ندّخر وسعاً حتى نكشف ما هو مدفون فيها فعثرنا على ممر صاعد يمتدُّ من الغرفة الارضية الى الارض المسطحة المرصوفة وكان المظنون ان هذا الممر كان يستعمل لنقل جثة الملك يوم الدفن لكننا عثرنا هناك على كتابة مصرية جاء فيها ان زوجة احد الولاة لم يشأ ان يبني لنفسه مدفناً يدفن فيه وحدهُ بل اراد ان يدفن مع والدهِ ليرى احدهما الآخر كل يوم في العالم الثاني

خطر لي ان هذا الممرّ بُني ليصل بين القبرين. وبعد تعب كثير لظفاءهُ فوجدنا انهُ يؤدي الى حُفرة في صخر مغطاة بحجارة ضخمة وفي آخر الحفرة غرفة اقفل مدخلها بجدار ضخم ولكنهُ سليم. وحينما خرقنا الجدار دخلت الغرفة مع اثنين من امهر مساعديّ ولم يكن فيها ما يرغّب في الدخول لانها غير منتظمة الشكل واطئة السقف ارضها مغطاة بالطين فبدأنا الحفر فيها فعثرنا اولاً على آنية

جميلة الشكل من الخزف المطلي ثم وجدنا كاساً مصرية من حجر رمادي اللون وهي بديعة الصنعة وسليمة ورأينا على غطائها كتابة هيروغليفية ترجمتها « من الاله الكامل الحيّ ابن امنمحت الشمس الى خدمه دائماً » ولا شك ان المقصود بالخدم سكان مدينة جبيل . وحيث ان خمسة من ملوك الدولة المصرية الثانية عشر سمّوا بامنمحت لم نستطع ان نعين تاريخ تلك الكأس بالضبط . على انهُ لم يمضِ علينا زمن حتى تحققنا ذلك اذ وجدنا في الطين المغطي ارض الحفرة حقة جواهر من السبج على قواعد من الذهب وغطاؤها من السبج والذهب وحولهُ اطار ذهبي منقوش على الاسلوب المصري . وفي وسط الغطاء كتابة هيروغليفية هذه ترجمتها : —

« الاله الحيّ الكامل ، سيد البلادين ، ملك مصر العليا والسفلى ، معخرورع ، المحبوب من ثم ، اله هليوبوليس المعطاة لهُ حياة ابدية كالشمس » ومعخرورع المذكور في هذه الكتابة احد الاسماء التي عُرف بها امنمحت الرابع الذي ملك في مصر من ١٨٠٠ الى ١٧٩٢ ق.م. والذي وصلتهُ الحقة منهُ كهدية هو ابن ملك جبيل الذي وجدنا في قبره كاس السبج المهداة اليهِ من الملك امنمحت الثالث .

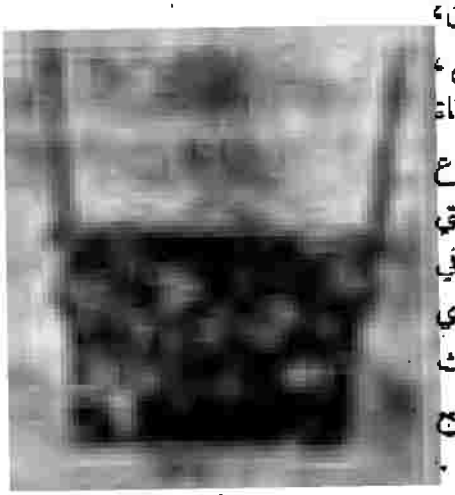

صدرة من ذهب وجدت في جبيل

وهذا الابن هو باني المزّ بين مدفن ابيهِ ومدفنهِ ليكونا على اتصال تام في العالم الآخر

وبعيد ذلك اتيح لنا ان نعرف اسم ذلك الفتى لاننا رأيناهُ على مخصرة [1] من البرونز نقش على جانبيها صلّ منتفخ عند الاوداج يلتفُّ حولها وقد كتب على وسطهِ من الجانبين كتابة هيروغليفية ترجمتها من الجانب الواحد « صنع للامير ابي سخيمو المتوفي » وعلى الجانب الآخر « اميرجبيل ايب سخيمو ابي العائد الى الحياة »

فوجود اسم امير لمدينة جبيل عاش قبل المسيح بالف وثمانمائة سنة يهم الذين يعنون بالتاريخ السامي كذلك ويهمهم كثيراً اثبات حقيقة تاريخية مهمة وهي ان

(١) المخصرة ما يأخذه الملك بيده كالصولجان يشير به اذا خاطب الشعب

الفينيقيين كانوا يستعملون كتابة هيروغليفية قبل ان استعملوا الكتابة المسمارية في مراسلاتهم السياسية بثلاثة قرون (١)

اما الحروف الهيروغليفية على جانبي الخنصرة فيبدو عليها ما يدل ان كاتبها دخيل على اللغة المصرية لا اصيل فيها فصورة الاسد وهي الاولى في كلمة امير وصورة الحيوان الصغير التي تلفظ « اي » تماثل حروف الحنين الهيروغليفية اكثر من مماثلتها للحروف المصرية

فكاس السبج وحقة السبج والخنصرة هي الاشياء التي لها المقام التاريخي الاول في كل ما عثرنا عليه . على ان هناك كنوزاً كثيرة غيرها عثرنا عليها مطمورة في الطين منها خواتم واساور مرصعة بجُعَل من حشت وعقود وآنية بيتية وصولجان من خشب وذهب شكله كجذع نبات البردي عليه قرص فضي يمثل الشمس، وهناك ايضاً ابريق

الابريق الفضي

من فضة للسوائل الساخنة وصدرة من ذهب مرصعة بالحجارة الكريمة ومعلقة بسلسلة ذهبية ووسام ثمين تحيط به دائرة من ورود ذهبية نقشت عليه صورة باشق وجُعَل وبينهما نقش اسم الامير ايب سخيمو اي يحيط به ختم كاختام الفراعنة

(١) نشرنا في العدد الماضي من المقتطف صورة كتاب من احد ملوك جبيل الى احد ملوك مصر وهو بالكتابة المسمارية

اما صاحب هذه النفائس فكان في تابوت خشبي مزدان بالواح من القيشاني ورقوق ذهب زالت وبقيت آثارها . وهذه النفائس كانت على سطح التابوت او في داخله

وعثرنا في مدفن ثالث على تابوت خشبي مزخرف بالواح القيشاني ورقوق الذهب واكثر الآنية حولهُ من الخزف ولم نعثر فيهِ على ابريق فضي كما عثرنا في المدفن الاول والمخصرة ليست دقيقة الصنعة كالتي وجدناها اولاً ولا نستطيع قراءة الكتابة المنقوشة عليها قبل تنظيفها . واجمل ما عثرنا عليهِ في هذا المدفن طوق من الذهب بديع الشكل وهو يماثل الطوق المصري المؤلف من عقود لؤلؤ معلقة بين رأسي باشقين من ذهب ولكن عقود اللؤلؤ هنا بدلت بمستطيل جناحيهِ يحمل في كل من رجليهِ خاتماً ذهبياً يدل على تجدد الحياة وخلودها والظاهر ان الذي صنع هذا الطوق كان عارفاً باصول الفن المصري لكنهُ استخدمها ليبدع شكلاً فنياً جديداً . وقد نقلنا صورة الطوق في الصفحة الاولى من هذا المقال

وعثرنا على مدفن رابع حسبنا اننا سنجد فيهِ نفائس كثيرة لكنهُ خيّب آمالنا. كان بناؤهُ اكثر اتقاناً من بناء المدافن الاخرى ولذلك دهشت كثيراً حين رأيت في داخلهِ تابوتاً من حجر بغير غطاء وزادت دهشتي لما لم اعثر على قطع من ذلك الغطاء كسرت منهُ حين كسرهُ السارقون لسرقة ما فيهِ

ويذهب احد علماء الآثار الذي زار خرائب جبيل ورأى هذا المدفن والتابوت ان الغطاء كان من خشب ففنى على مرّ الزمان . لعلّ رأيهُ صحيح ولكني لا ازال معتقداً ان غيرنا سبقنا الى هذا المدفن

وبعد ان نظفنا عثرنا فيهِ على آنية خزفية مزخرفة وقطعة من اناء البسترنقش عليهِ بالهيروغليفية ما ترجمتهُ « الى نفس الامير الشريف ، شيخ الشيوخ امير جبيل المعاد الى الحياة »

اما التابوت فلم نعثر فيهِ على عظام ولا آثار اخرى بل وجدنا فيهِ حفنة من التراب وبضع صفحات من دفتر قديم وقطعة ورق حسبناها اولاً من البردي لكننا بدلاً من ان نرى فيها كتابة هيروغليفية او فينيقية وجدنا فيها كتابة انكليزية والعدد ١٨٥١ ولعلّ هذا العدد يرمز الى السنة التي نهب فيها هذا المدفن

والراجح ان المدفن كان قبل نهبهِ يحوي مخصرة وابريقاً فضياً وطوقاً ذهبياً وخواتم واساور وقد تكون هذه الآثار النفيسة في بعض المتاحف او المجموعات الاثرية الخاصة فرجاؤنا الى اصحابها ان ينشروا صورها والكتابات التي عليها